المُصافَحةُ في الفِراسةِ

توصَّفَ باحثون إلى أنَّ المصافحةَ تكشفُ جوانبَ من شخصيَّتنا وهناكَ العديدُ من طُرُقِ المصافحة باليَد أشهرُها.

١- المصافحةُ المتساويةُ:

صفاتُها: (متوازنةٌ بين الطَّرفَين وبشكلٍ عموديٍّ)

ميزاتها: تتميَّزُ بالثِّقَةِ والهدوءِ من قبلِ الطرفَين بشكلٍ صحيٍّ وهي مصافحةٌ الأشخاصِ الأسوياء.

٢- المصافحةُ السائدةُ

صفاتُها: سيادةُ يدٍ على الأُخرى أي يدٌ فوقَ الأخرى بوضع مقلوب.

ميزاتُها: تتميزَّ بتأكيد المحبَّة من الطرفَ السائد أو اليد العُليا وتكونُ منفصلَّةً بين الأحبابِ والمقَّربين فقطْ.

وتسمَّى -أيضًا- مصافحةُ المُستسلم؛ لأنَّ اليدَ السُّفلى يقولُ صاحبُها: سأتركُ المجالَ أن تتولى زمامَ الأمورِ في حالِ قَلَبَ شخصٌ لتكونَ السفلى.

وبعضُ الدراسات المكثَّفَة تذهبُ إلى أنَّ اليَد العُليَا تريدُ الهيمنةَ على مَنْ حولَها ويتميزَّ صاحبُها بالكبْر والاحتقارِ للآخرين وهذا القولُ وجيهٌ سيَّما إذا كان يستخدمُ ذلك مَعَ العامَّة دونَ النُّظراء.

٣- المصافحةُ المَشْدودةُ

صفاتُها: شدُّ الشَّخص يَدَ الشَّخصِ الآخرِ إليه.

ميزاتُها: قد تُفْهَمُ خطأً وهي دلالةٌ على تشكُّك الشخصِ الشادِّ لليَد لعملية الاتصال ودليلُ ضَعْف ثقته بنفسه.

٤- المصافحةُ الخجولةُ

صفاتُها: المصافحةُ بأطراف الأصابع

ميزاتُها: دليلُ تعالٍ وكبرياء أو خجل أو ضعف الثِّقَة بالنَّفْس أو دليلٌ على رغبة الشَّخص في أن يتكتَّمَ على رغبة معينَّة قلتُ: هذا العزِّزُةُ فراسةُ العيون وغيرها من الفراسة ليعرفَ الشَّخْصُ هَلْ هو متكبِّرٌ أو عندَهُ خجلٌ أو ضعف الثقة بنفسه وهكذا أبواب الكتاب يعزز بعضها بعضًا.

٥- مصافحةُ السَّمكةِ الميْتَةِ

صفاتُها: مصافحةٌ باللَّمْس وفيها بودٌ

ميزاتُها: دليلٌ على غرور أو اعتزاز بالنَّفْس أو ضَعف الثِّقَة بالنفس وقد تُفْهَمُ خطأً بأنَّ الشخصَ لا يُحبُّ أن يرحِّبَ بالآخر.

٦- المصافحةُ الشَّرِسَةُ

صفاتُها: الضَّغْطُ على اليَد المقابلة بصلابة وتُسمى المصافحةَ الحديديَّةَ.

ميزاتُها: هي دليلُ عدوانيَّة أو دليلٌ على أن الشَّخصَ يريدُ أن يظهرَ بمظهر الشَّخص القويِّ الحازم.

٧- المصافحةُ الحاضنَةُ

صفاتُها: احتضانُ يد الشخص بكلتا اليدين وتُسمى المصافحةَ الوديَّةَ.

ميزاتُها: هي مصافحةٌ تعبِّرُ عن التودُّد والمحبَّة ويستخدمُها السياسيُّون في الغالب وتشيعُ بينَ الأصدقاء وإذا استخدمَها شخصٌ لأوَّل مرة مع شخص لا يعرفُهُ جيِّدًا ودلَّ ذلكَ على نوعٍ من التودُّد الزائف «التَّملُّق»!

فِراسة العيونِ
لغةُ العيونِ

للعين لغة يفهمها أهل الفراسة ولا أدل على ذلك أن العشاق كانوا يكتشفون ما وراء العين من التأمل فيهتدون إلى لغاتها والسبب أنه لما كان حبُّهم لاذعًا مؤلمًا علت همتُهم إلى قراءة لغة عُيونِ مَنْ يُحبُّون ومن شواهد ذلك قولُ عُمَرَ بن أبي رَبِيعَةَ:

أشارتْ بطرفِ العين ضيفةَ أهْلِهَا ... إشارةَ مَحْزُونٍ ولمْ تتكلَّمِ

فأيْقَنْتُ أنَّ الطرفَ قد قال: مَرْحَبًا ... وأهْلاً وسَهْلاً بالحبيبِ المُتَيَّمِ[1]

فقد نفى عمرُ في البَيتين الكلامَ اللفظيَّ، ولم ينف مطلق الكلام، ولو أرادَ بقوله: و«لم تتكلم» نَفْي غير الكلامِ اللفظيِّ لانتقض بقوله: فأيقنتُ أن الطرفَ قد قالَ مرحبًا؛ لأنه أثبتَ للطرفِ قولاً، والمرادُ نفيُ الكلامِ اللفظيِّ وإثباتُ كلامِ العين[2].

ومن طريف ما يُذكرُ أنَّه اجتمع أربعةَ عشاقٍ لَقينة، وكلُّهم يواري عن صاحبه بسِّره، ويطوي دونَهُ خبرَهُ ويومئُ إليها بحاجبه ويناجيها بلحظه وكان أحدُهم غائبًا فقدمَ، والآخرُ مقيمًا قد عزمَ على السَّفَرِ، والثالث قد سلفتْ أيَّامَهُ، والرابعُ مُسْتأنفةٌ مودتُهُ. فضحكتْ بعينها إلى الأول، وبكتْ إلى الثاني، وآيست الثالثُ، وأطمعت الرابعُ![3]

(١) «ديوانه» (٢٠٤). شرح محمد محيي الدين عبد الحميد.
(٢) «لغة العيون» د. محمد كشاش (٢٨).
(٣) «العين في الشعر» د. على شلعه (١٠٥).

قال المهدي بن المنصور:

ومُطلع من نَفْسِهِ ما يُسُرُّهُ ... عليه من اللحْظِ الخفيِّ دليلُ

إذا هو لم يُبْدِ الذي في ضميره ... ففي اللَّحْظِ والإيماءِ منْهُ رسُولُ[١]

واختزنَتْ أقوالَهم جملةٌ منها.

فمن قولِهم: «رُبَّ طرفٍ أفصحُ من لسانٍ[٢].

وقال بعضهُم: «أما يُبصر في عينيَّ عنوانَ الذي أُبدي»[٣].

ومن أمثالِهم: «رُبَّ عينٍ أنمُّ من لسانٍ»[٤].

و: «شاهدُ اللَّحظ أصدقُ»[٥].

و: «لحْظٌ أصْدَقُ من لَفْظٍ»[٦].

●●●

(١) شرح مقمات الحريرى (١/ ٢٩١).
(٢) «عيون الأخبار» (٢/ ١٨١).
(٣) «المرجع السابق» (٢/ ١٨١).
(٤) «مجمع الأمثال» (١/ ٣١٤).
(٥) «المرجع السابق» (١/ ٣١٤).
(٦) «المرجع السابق» (٢/ ٢٢٠).

معظمُ الفِراسةِ تتعلَّقُ بالعيونِ

جُلُّ الفراسة الخَلْقيَّة (الكسْبيَّة) في العيون وهذا ليس من باب الوَهْم والتقدير بل هو موجودٌ حقيقَةً لا مراءَ فيها فالمتكلِّمُ بلسانه قد يُعْجِمُ[١] وكذلك حالُ العين.

يقال: «فأعجمتْك عيني مُنْذُ زمان أي ما أخَذَتْكَ، ورأيتُ فلانًا فجعلتُ عيني تُعْجمُهُ كأنَّها تعرفُهُ، ولا تمضي على معرفَته[٢]. وبهذا تتساوى العينُ واللسانُ في التعبير، من خلال إسدال صفة «عجمة» إليهما على السواء[٣].

ولله درُّ ابن القيِّم -رحمهُ اللهُ- حينَ قال: «ومُعظمُ تعلُّق الفراسة بالعَين، فإنها مرآةُ القلب وعنوانُ ما فيه، ثمَّ باللسان، فإنَّهُ رسولُهُ وترجمانُهُ»[٤]. بل إن العين كتابٌ مفتوح وسفرٌ مشروح.

قال اللهُ -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ... ﴾ [يوسف: ٨٤].

أي أبيضَّتْ عيناه من الحزن الذي في قلبه، والكَمَد الذي أوجبَ له كثرةَ البُكاء. وقالَ اللهُ -سبحانهُ وتعالى-: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا .. ﴾ [يوسف: ٩٦].

أي: رجَعَ على حاله بصيرا بعد أن أبيضَّتْ عيناه من الحُزْن).

وقالَ اللهُ -سبحانَهُ وتعالى-: ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ... ﴾ [طه: ٤٠].

---

(١) تفسير ابن سعدي (٤٠٤).
(٢) المرجع السابق (٤٠٥).
(٣) لغة العيون» (٨٩).
(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٥).

فقوله تعالى: تقرَّ عينُها أصلُهُ من القرار؛ لأنَّ ما يحبُّهُ الإنسانُ تسكُنُ عينُهُ عليه، ولا تنظرُ إلى غيره كما قال أبو الطيِّب

وخَصْرٌ تَثْبُتُ الأبصارُ فيه ... كأنَّ عليه من صَدَقٍ نطاقا[١]

فقد دلَّت قرةُ العين على الرِّضا وراحة القلب كما قال الوادعيُّ:

من أم بَابكَ لمْ تَبْرَحْ جَوَارِحُهُ ... تَرْوِي أحاديثَ ما أوليتَ من مَنَنِ

فالعَيْنُ عَنْ قُرَّةٍ والكفُّ عن صِلَةٍ ... والقَلْبُ عَنْ جابرٍ والسَّمْعُ عن حَسَنِ[٢]

وعن مصعب بن سعد عن سعد -رضي الله عنه- قال: لما كان يومُ فتح مكةَ اختبأ عبدُ الله بنُ سعد بن أبي سراحَ عند عثمانَ بن عفَّانَ فجاءَ به حتَّى أوقفَهُ على النبيِّ -ﷺ- فقال: يا رسولَ الله بايعْ عبدَ الله فرفعَ رأسَهُ فنظرَ إليه ثلاثًا كلُّ ذلك يأبى فبايعَهُ بعدَ ثلاث ثم أقبلَ على أصحابه فقال: أما كان فيكمْ رجلٌ رشيدٌ يقومُ إلى هذا حيثُ رآني كففْتُ يدي عن بيعته فيقتُلَهُ؟

فقالوا: ما ندري يا رسولَ الله ما في نفسك ألا أومأتَ إلينا بعَينكَ؟

فقال: «إنَّهُ لا ينبغي لنبيٍّ أن تكونَ له خائنةُ الأعين»[٣]

قال الخطابيُّ -رحمهُ اللهُ-: «معنى خائنةُ الأعين» أن يضمرَ بقلبه غيرَ ما يظهرُهُ للناس فإذا كفَّ بلسانه وأومى بعينيه إلى خلاف ذلك وكان ظهورُ تلك الخيانة من قِبَل عينه فسمِّيَتْ خائنةَ الأعين»[٤].

---

(١) «أضواء البيان» (٢١/ ٢٠).

(٢) «لغة العيون» (٩١).

(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود (٢٦٨٣)، والنسائي (٢/ ١٧٠)، والحاكم (٣/ ٤٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٣).

(٤) «عونُ المعبود» (٧/ ٢٤٩).

وخائنةُ الأعين تباحُ لكلِّ أحد عدا الأنبياء -صلوات الله عليهم- قال الحافظ -رحمه اللهُ-: «المنعُ مطلقًا من خصائص النبيِّ -ﷺ- فلا يتعاطى شيئًا من ذلك وإن كان مباحًا لغيره»[1].

●●●

(١) «الفتح» (٩/ ٢٥٠).

فِراسةُ العيونِ في العلمِ القديمِ

بمعرفة مفردات العين يستطيعُ المرءُ قراءَة أفكار صاحبها، والعينُ كما قدَّمْنا كتابٌ مفتوحٌ فإلى ذلك الكتاب نستَشِفُّ ما فيه ولله درُّ ابن الأعرابيِّ حينَ قال:

العَيْنَ تُبْدِي الَّذي في نَفْس صَاحِبَها ... من الشَّناءَةِ[1] أوودٍّ إذا كَانَا

إنَّ البَغِيضَ لهُ عَيْنٌ يَصُدُّ بها ... لا يَسْتَطِيعُ لَمَا في القلب كِتْمانا

العَيْنُ تَنطقُ والأفواهُ سَاكِنةٌ ... حتىَّ تَرى من ضَمِيرِ القَلْبِ تبيانَا[2]

فمنْ مُفْرداتِ العينِ ما يأتي[3]

١- أَزْلَقَ:

يقال: أزْلَقَهُ ببَصَرِه إذا نظرَ إليه نظرَ مُتسَخِّط[4] قال تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم: ٥١].

وإشارة أزلَقَ» تُرسَمُ عن طريق النَّظر بحدَّة إلى الشيء، وهى تُسطرِّ معنى السَّخَط والحَسَد. قال ابنُ فارس: «فحقيقةُ معناه أنه من حدَّة نظرهم حسداً يكادون يُنَحُّونَكَ عَن مكانك»[5] وأكثرُ ما يتداولُ معناهُ الأعداءُ فيلجَأون إلى التعبيرِ بإشارة «زلقَ» حين ينظرَ أحدُهم إلى الآخرِ طالبًا زوالَ نعمته.

---

(١) الشناءة: البغض والكراهية.

(٢) (روضة العقلاء» (١٠٤).

(٣) انظر «لغة العيون» (٦٧) وما بعده بتصرف يسير. د. محمد كشاش، وجل هذا الباب مستفاد منه جزاه الله خيراً.

(٤) «المفردات» لراغب (٣٥٥).

(٥) «مقاييس اللغة» (٣/ ٢١).

قال أحدُهم يصفُ نظرَ الأعداءِ بعضِهم إلى بعضٍ

يتقارضُونَ إذا التَقَوا في مَوْقِفٍ نظرًا يُزِيلُ مَواطِئَ الأقدامِ

٢- استَشَفَّ:

تتمُّ إشارةُ «استشفَّ» عندما يتحرَّكُ الطَّرْفُ عاليًا كأنَّهُ ينظرُ الشَّيءَ في الهواءِ ومعناها البحثُ عن عيبٍ في المنظورِ إليه.

قالوا: استشفَّ[1] الثوبَ إذا نَشَرَهُ في الهواءِ ورفعَهُ ليفظرَ إلى صفاقتِه أو سخافتِه يطلبُ عيبًا أو يرى عَوَرًا إنْ كان فيه.

٣- استكفَّ:

أي اسْتَشْرَفَ واستكفَّ واستوضَعَ إذا رفعَ بصرَهُ إلى الشيءِ وبسطَ كفَّهُ فوقَ حاجبِهِ كالمستظلِّ من الشمسِ ليستبينَ المنظورَ إليه.

ومعناها الإطلاعُ على الشيءِ بدقَّةٍ لمعرفة ما فيه.

٤- امتلاءِ العينِ:

هو معنىً معروفٌ قديمًا ولا يزالُ إلى اليومِ. جاء في أقوالِ العامَّة: «عبَّأ عيني»، أي ملأها بحسنِهِ وتمامِهِ ورضا النفسِ عنهُ وتظهرُ لفظةُ «الامتلاء» بشكلِ راحةِ العينِ وانبساطِها.

قال الشاعر:

هي الدُّرُّ منثوراً إذَا ما تكلَّمَت وكالدُّرِّ مجموعًا إذا لَمْ تكلَّمِ

تُعَبِّدُ أربابَ القُلُوبِ بدلِّها وتملأُ عينَ الناظرِ المتوسِّمِ[1]

(١) «المختار من شعر بشار» (٣٧).

ومما يزيدُ المعنى وضوحًا «عينُ الرِّضا» و«عينُ السُّخْط الأولى تنظرُ إلى الشيء فتراهُ جميلاً، تقبلُهُ النفسُ ويرتضيه الحسُّ، والثانيةُ ترى الشيءَ مقيتًا تعافُهُ النَّفْسُ وتعافُهُ الحواسُّ.

قال الشاعر:

فعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولكن عَيْنَ السُّخْطِ تُبدي المساويَا[1]

وعينُ الرِّضا بحكم طبيعتها النفسية ضعيفةٌ عن إدراك المعايب، وهي تعملُ على سَتْرِها أما عينُ السُّخطِ فهي تَجِدُ في التماسِ العيوبِ واصطيادِ المثالبِ.

٥- ترقّ عينيه:

يتراءى للناظر -أحيانًا- أن عينَ المنظور إليه تَبْرُقُ وتتلألأ[2]، فيقولون فيه: «بَرَّقَ عينيه»، وقد لاحظَ العلماءُ حركةَ العين وبريقَها المطرد مع المعاني؛ فباتت عندَهم علاماتٍ يستدلُّون بها على حقيقة الإنسان وعقله ومُراده...

قال ابنُ الجوزيِّ -رحمهُ اللهُ- موضِّحًا: «ومَنْ كانت عينهُ تتحرَّكُ بسرعة وحدَّة فهو مكارٌّ محتالٌ، وأحمدُ العيون الشُّهْلُ، وإذا لم تكنْ الشهلاءُ شديدةَ البريقِ ولا يظهرُ عليها صُفْرةٌ ولا حُمْرةٌ دَلَّتْ على طبعٍ جيِّد...»[3].

وتتمُّ إشارةُ العين اللغويةُ حين تُخْرِجُ ما يشبهُ الشَّرَرَ، وهو مفردةٌ تحملُ معنى الخوف والفزَعِ الناتجَيْن عن الغَضَبِ وما يشبهُهُ من مُثيرات، تبعثُ الإنسانَ على الغليانِ وتجعلُهُ في موقفِ الحيران.

---

(١) «سرح العيون» (٢٠٦).

(٢) قد ينتجُ بريقُ العين من اجتماع البياض والسواد؛ لأن مادَّةَ (برق) تتضمَّن معنى الاجتماع، يعزِّزُ ما نقولُه أن الأبرقَ الجبلُ فيه سوادٌ وبياضٌ، سمَّوا العينَ برقاءَ لذلك. وناقةٌ بَرُوقٌ تلمعُ بِذَنَبِها، (معجمُ مقاييس اللُّغَة) (١/ ٢٢٤).

(٣) «الأذكياء» (١٧).

يُدَعِّمُ ذلك دلالةُ (بَرَق) قال ابنُ فارس -رحمهُ اللهُ-: «والإنسانُ إذا بقي كالمتحيِّرِ قيلَ بَرِقَ بصرُهُ فهو بَرِقٌ فَزِعٌ مبهوتٌ»(١).

ويقالُ في كلِّ ما يلمعُ نحو سيف: بارِقٌ وبَرِقٌ وبَرَق كما يقال في العينِ إذا اضطربَتْ وجالَتْ من فَزَعٍ(٢).

واستناداً إلى المعنى المذكورِ قالت العامَّةُ: «ليتطايرُ الشَّرَرُ من عينيه» إذا كان غَضبًا فَزِعًا.

وقارىءُ لغةِ العينِ يفهمُ مقصودَها حين تبرقُ وتتلألأُ فيجبُ تجنُّبُها خَشْيةَ الوقوعِ في ويلاتها(٣) قال الشاعر: مُظهراً دلالَةَ «برقِ العينِ» ناصحًا مفارقَتَها:

ولا تَلْمَمْ بِدارِ بَني كليبٍ ... ولا تَقْرَبْ لها أبَدًا رحالا

ترى فيها بَوارقَ مرهفاتٍ ... يكدْنَ يُكِدْنَ بالحدقِ الرِّجالا(٤)

٦- البكاء:

الدموعُ علاماتُ البكاء، وحركاتُ إعرابِ إشارةِ العينِ التي تَدُلُّ فيها على معنى الحُزْنِ، ومن دونها تفقدُ دلالَتَها على المعنى الموضوعِ لها.

وما أشدَّ المزاوجَةَ بين دمْعةِ العينِ ومعنى الحُزنِ الذي تبعثُهُ دوافعُ كثيرةٌ، كالنَّوى وهجرِ الحبيبِ وفُقدانِ الأهلِ والألم.. يُرَسِّخُ المزاوجةَ بأبهى حُلَّتِها قولُ الطائيِّ الذي تتحوَّلُ فيه الألفاظُ إلى دموعٍ، تحكمِ بلسانِ حالِها البَيْنَ والوجَعَ:

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (١/ ٢٢٤).

(٢) مفردات الراغب (٤٢).

(٣) يحسن بالزوجَةِ أن تلمحَ بروقَ عينِ زوجها فتسكت لئلاَّ يسقُطَ السقفُ. ومتى رأى الرجلُ ذلك من أهله أن يَخْرُجْ حتى تسكُنَ ثائرتُها وتهدأ نفسُها.

(٤) «ديوان الأخطل» (١٠٦).

كادتْ لرِفْقانِ النَّوى ألفاظُها ... مِنْ رقَّةِ الشَّكْوى تُكَوِّنُ أدمُعَا[١]

وتحكي الدموعُ حرارةَ القلبِ وشدَّةَ الوَجدِ والحبِّ. تظهرُ في العينِ وتبقي بصماتُها قروحًا فيها وجروحًا. وهي بذلك تسطرُ معناها، وتتركُ للعينِ الناظرةِ إليها تحكي ما بها. قال أحدُ الشعراءِ مصدِّرًا حالَهُ بإشارةِ طرفه:

يَقُولُونَ لي والدَّمْعُ قَرَّحَ مُقْلتي ... بنارٍ أمسَّ من حَبَّةِ القَلْبِ تَقْدَحُ

أوْ مَعْكَ جَمْرٌ قلتُ: لا تتعجَّبوا ... فكُلُّ وعاءٍ بالذي فيهِ يَنْضَحُ[٢]

ودموعُ العينِ بالإجمالِ إشارةٌ تَنُمُّ عن الحزنِ وآيةِ الأسى والهمِّ، تنطقُها العينُ بلسانِ حالِها فتقومُ مقامَ مقالِها. من أمثلتِها ما أنشدَهُ الصَّفَدِيُّ:

فلا تَسْلَني عنْ وَجْدِي وعن قلقي ... وَسَائلِ الدَّمْعَ في عينيَّ يُنْبيكا

هَذي دُمُوعي عن حَالِي مُتَرْجِمَةٌ ... وَهَذه ألسُنُ الشَّكْوَى تناجيكا[٣]

أشكالُ الدُّموعِ:

قد تدمعُ الأحداقُ عطفًا وشفقةً عند سماعِ كلامِ مَنْ قُطِعَتْ بهم سبلُ العيشِ، فأصبحوا في وضعٍ من الفاقةِ والحاجةِ ما لا يُحسَدون عليه.

جاء في المقامةِ الجُرجانيَّةِ: «وقد هبَّت بي إليكم ريحُ الاحتياجِ، ونسيمُ الإلفاجِ[٤] فانظروا -رحمكم اللهُ- لنَقْضٍ من الأنقاضِ مهزولٍ، هدَّتهُ الحاجةُ وكدَّتهُ الفاقةُ... قال عيسى بنُ هشامٍ: فَرَقَّتْ- واللهِ- لهُ القلوبُ، واغرَوْرقَتْ للُطْفِ كلامِه العيونُ،

(١) «العين» في الشعر» لعلي الشلق (١١٧).
(٢) «المستطرف» (٢/٦٦٤).
(٣) «لوعة الشاكي ودمعة الباكي» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدِيِّ (٦٦).
(٤) الإلفاجُ الإلجاءُ إلية غيرِ أهلِه، وألْفَجَ أفْلَسَ «القاموس المحيط» (١/٢٠٦).

ونلناهُ ما تاحَ في ذلك الوقت»[١] وبذلك تؤدي معنى آخرَ من معانى الحزن تسجِّلُهُ الدمعةُ وتظهرُهُ المقلةُ.

ومن جهة أُخرى تؤدِّي دمعةُ العينِ معنى الفَرَحِ وتكونُ عنوانَه الدَّعَةِ والمرحِ؛ ولهذا يشاعُ في العامَّة «دموعُ الفرح».

وتبدوه في دموعِ الفرحِ -المشابهةُ بين لفظَة اللسان وإشارة العين على أشدِّها؛ لاشتراكهما في ميزة واحدة هى ظاهرةُ التضادِّ. نحوَ الجَوْن للأسود، والجون للأبيض[٢]، كما تدلُّ الدمعةُ في لغة العيون على الأفراحِ والأتراحِ.

الدموعُ قد تَخْدَعُ:

ينبغي على المتحدَّث بلغة العيون التنبُّهُ إلى دلالة لفظة «دموع العين»، وجَعْلُها على المعنى الحقيقيِّ المقصود، فكم من دمعة تَذْرفُ فيحسبُها العامَّةُ وطَيِّبوا القلوب حُزْنًا، وما دَرَوا أنَّ الدمعةَ تخدعُهم كما تخدَعُهم الكلمةُ على اللسان، والزرايَةُ في الملبَس.

ومن طريف ما يُذكرُ عن الشعبيِّ -رحمهُ اللهُ- قال شَهِدْتُ شُريحًا وجاءتْهُ امرأةٌ تخاصمُ رجلاً فأرسلتْ عينيها فبكتْ فقلت يا أبا أميَّةَ ما أظنُّها إلا مظلومةً فقال: يا شعبيُّ إنَّ إخوةَ يوسفَ جاءوا أباهم عِشاء يَبْكُون»[٣].

٧- التَّحديقُ:

لفظةُ التحديقِ تتمُّ متن خلال فتحِ العين بشدة بُغْيَةَ النَّظَرِ والإحاطَة الجليَّة بالمَنْظَرِ جاء في استعمالِ العرب: «وقد أحْدقوا به إذا أحاطوا»[٤].

---

(١) «مقاماتُ الهمذانيِّ» (٥٠).

(٢) «الصحابة فس فقه اللغة لابن فارس (٩٧-٩٨).

(٣) «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٤٦).

(٤) «أساسُ البلاغَة للزَّمخشري (١٦٧).

ولعلَّ حركةَ العينِ بالتحَّديقِ نابعةٌ من الحَدقةِ، وهي السوادُ المستديرُ وسَطَ العينِ(١).

وفي حديثِ معاويةَ بنِ الحكَمِ: فحدَقني القومُ بأبصارهم، أي رمَوْني بحَدَقِهم(٢) وقد تدلُّ إشارةُ الحدقةِ، بالإضافةِ إلى معنى الشمولِ والإحاطةِ على معنى الوداعِ، والنَّظرةَ الأخيرةَ.

قال ابنُ منظورٍ: «رأيتُ المَيْتَ يَحْدِقُ يَمْنةً ويَسْرةً، أي يفتحُ عينيه وينظُرُ»(٣).

٨- حركةُ الجُفونِ والحواجبِ:

تمثلُ الجفونُ والحواجبُ دورًا مهمًا في مفرداتِ العينِ وألفبائها. وهما تشاكلان إلى حَدٍّ بعيدٍ حركاتِ إعرابِ الكلامِ، من الرفعِ والنَّصبِ والجرِّ والجزمِ.

ونظرةٌ تأمليَّةٌ إلى الجفونِ والحواجبِ مع العينِ تساعدُ المتكلِّمَ بلغتها على فَهْمِ مَراميها.

ولا أدلَّ على ذلك من قولِ أبي العباسِ الناشيءِ:

وَلَمَّا رَأَيْنَ البينَ زُمَّتْ رِكَابُهُ ... وأَيْقَنَّ مِنَّا بِانْقِطاعِ المَطَالِبِ

طَلَبْنَ على الرَّكْبِ المجِدِّينَ عِلَّةً ... فَعُجنَ عَلَيْنَا مِنْ صُدُورِ الركائبِ

فَلَمَّا تلاقَيْنَا كَتَبْنَ بأعْيُنٍ ... لَنَا كُتُبًا أعْجَمْنَهَا بالحواجبِ

فكمَّا قَرَأْنَا هُنَّ سِرًّا طَوَيْنَهَا ... حِذَارَ الأعَادِي بازْوِرَارِ المَنَاكِبِ(٤)

---

(١) «لسانُ العرب» (١٠/ ٣٩).

(٢) «النهايةُ في غريبِ الحديثِ» (١/ ٣٥٤)، والحديثُ رواهُ مسلمٌ (٥٣٧).

(٣) «لسانُ العرب» (١٠/ ٣٨).

(٤) «زهرة الأدب» (٣/ ٦٤٩).

لغةُ الحواجبِ

تعملُ الحواجبُ على تأديةِ إشارةِ العينِ، وهي تؤكِّدُ ما تنقلُهُ من معنى الرَّفضِ والصدِّ. كأنه حركةَ الحاجبِ إلى أعلى لفظةُ (لا).

تؤازرُ العينَ، فيتعانقان سويًا على تأكيدِ معنى النفيِ بلا كُرْهٍ ولا بُغْضٍ قال الشاعر:

وَلَمَّا رَأَيْتَ البَيْنَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ ... وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَنْ تَبِينَ الرَكائِبُ

دَنَوْنَا فَسَلَّمْنا سَلاَمًا مُخَالِسًا ... فَرَدَّتْ عَلَيْنَا أَعْيُنٌ وحَواجِبُ

تصدُّ بِلا بُغْضٍ ونخلسُ لَمْحَةً ... إذا غَفَلَتْ عَنَّا العيونُ الرواقبُ[1]

وكسرُ الحاجبِ مع لمحةِ الطَّرْفِ يؤدِّيان رسالةَ الحبِّ بما فيها من لوعةٍ وفرحةٍ لوعةً خشيةَ الفراقِ، وفرحةً بما يُنتظرُ من لقاءٍ. ما أشدَّ مَنْ يُلقي بطرْفِه، فيخاطبُهُ طرفُ الحبيبِ مع كَسْرِ الحاجبِ كما قال أحدُهم:

ألا مَنْ لقلبٍ لا يزالُ ترمِيَّةً ... لِلَمْحَةِ طَرْفٍ أو لِكَسْرَةِ حاجبِ[2]

خُلاصةُ القولِ:

أنَّ الجفونَ سطورُ ألفاظِ العينِ وخطوطُ كتابتِها، يظهرُ عليها ما تُجِنُّ القلوبُ وتكتمُ الصدورُ كما قال أحدُهم:

ومُرَاقَبَيْنِ تكَاتَمَا بهَواهُمَا ... جَعَلاَ القُلُوبَ لما تُجِنُّ قُبُورًا

يَتَلاحَظانِ تَلاَحُظًا فكأنَما ... يَتَنَا سَخَانِ من الجفونِ سُطورَا[3]

(١، ٢) المرجع السابق (٣/ ٦٤٩).

(٣) «المختار من شعر بشار» (٦٣)، و«عيون الأخبار» (١/ ٣٩).

٩- الحَدْجُ:

الحَدْجُ هو أنْ يرميَ المرءُ ببَصرِه غيرَهُ مع خدَّة نَظَرٍ[١] قال أبو النَّجم العجليُّ:

تُقَتِّلُنَا منْهَا عُيُونٌ كأنَّها عُيُونُ المَهَا ماطَرْفُهُنَّ بحَادِجِ[٢]

والمعنى الذي يرسمُهُ اللفظُ من خلال وضع (الحَدْجِ» هو التَّثَبُّتُ والاهتمامُ بالمنظور إليه، أثناءَ رَمْيه بحدَّة ونظرٍ ثاقبٍ ويدلُّ ذلك على اهتمامه بما يقولُ وأنَّ حديثَهُ تَطْرَبُ له القلوبُ وتَلَذُّهُ الأسماعُ.

ولهذا حَرَصَ السلفُ على الحديث حال وجود الحَدْجِ فإذا انصرفَ عنهم انصرفوا عن الحديث، ويُعدُّون ذلك أمارةً على نشاط السامعِ وحسنِ استماعه وشهوته للحديث.

قال ابنُ مسعود -رضي الله عنه-: «حدِّث الناسَ ما حَدَّ جوك[٣] بأبصارهم، وأقبلَتْ عليك قلوبُهم؛ فإذا انصرفَتْ عنك قلوبُهم، فلا تُحدِّثْهم».

قيلَ وما علامةُ ذلك؟

قال: إذا ألتفتَ بعضُهم إلى بعضٍ، ورأيتَهم يتثاءبون فلا تحدِّثْهم»[٤]

فالعينُ تطلبُ بإشارتها الدَّرْسَ والتَّحْصيلَ فَطِنَ لذلك السلفُ الأبرارُ وغَفَلَ عنه كثيرٌ من الناس:

معنى السَّلَفُ الأبرارُ يَعْبَقُ ذكرُهم فسيروا كما ساروا على البرِّ واصنعوا

---

(١) «فقه اللغة» للثعالبي (٦٨).

(٢) «ديوان» (٧٨).

(٣) حد جول: أي وجهوها نحوك.

(٤) «شرح السنة» للبغوي (١/ ٣١٤).

ألا فَلْيُعْلَمْ أنَّ العينَ تحكي ما بها من خلال وضعها واللَّبيبُ اللَّبيبُ من يَفْهَمُ المعنى منه النَّظَر إلى عيون الآخَرين. ففي حُجْرَة الدراسة مثلاً أو قاعَة المحاضرات يَعْرِفُ المدَّرسُ أو المحاضرُ خفايا الحاضرين من النَّظَر إلَى عيونهم. وكذلك الوعَّاظُ في المساجد والمجالس فإن كانوا يتلذَّذون ويطلبون المزيدَ فـ(الحَدْجُ) وإنْ أكثروا من غَضِّ الطَّرْف والالتفات إلى غير جهَة أو إلقاء النَّظَر إلى السَّاعة أو ما شاكلَهَا، فإن العينَ تحكي الضَجَرَ وتقولُ السآمةَ والمَلَلَ.

١٠- لونُ الحُمْرَة:

حُمْرَة العين إشارةٌ تلفظُها مشيرةً إلى شكوى الوَجْد والفَقْد... وما يشبهُها من هَمٍّ وغمٍّ. وإذا أعلا العينَ لونُ الحمرة، فاهتْ بما فيها من الوَصَب[1] قال الشاعر:

قالُوا اشتكت عَيْنُهُ فَقُلْتُ لهم ... من كثرة القَتْلِ مَسَّها الوَصَبُ

حُمْرَتُها من دماء مَنْ قَتَلَتْ ... والدَّمُ في النَّصْلَ شاهدٌ عجبُ[2]

وتحملُ حمرةُ العين دلالةً أخرى تتمثل في الخداع والمكْر؛ لهذا نَهَوا عن مناومة حمر العُيون، وأمْن جانبهم ومن أمثلته قول أبي ترردةَ:

إني نَهَيْتُ ابنَ عَمَّار وقُلْتُ لهُ ... لا تأمَنَنْ أحْمَرَ العَيْنَين والشَّعَرَهْ

إن المُلُوكَ متَى تَنْزِل بساحَتِهِمْ ... تطرَ بِنَارِكَ من نيرانهمْ شَرَرَهْ[3]

وليس تفسيرَ إشارة اللون الأحمر في العين من باب القول بالبُهتان، أو الجري من

(١) الوَصَبُ السُّقْم اللازمُ، وقد وَصِبَ فلانٌ فهو وَصِبٌ وأوْصَبَه كذا فهو يتوصَّبُ نحو يترجَّعُ «مفردات الراغب»(٥٢٤).

(٢) «الحيوان» للجاحظ (٥/ ٣٣٢).

(٣) «ديوان المعاني» (٢/ ١٦٥).

غير برهان، بل هو ظاهرٌ دلاليَّةٌ، خارجةٌ في أحايينَ كثيرةٍ عن أن تكونَ مَرَضًا عضويًا[١].

١١- حَمَّجَ:

«جَمَّجَ» وضعٌ تأخذُهُ العينُ فتفورُ، أو تَصْغَرُ بُغْيَةَ النَّظَرِ، قال الجوهريُّ: حَمَّجَ الرجلُ عينَهُ تحميجًا يستشفُّ النَّظَرَ إذا صَغَّرَها»[٢].

ودلالةُ (حَمَّجَ: الفزعُ أو التَّهديدُ[٣] ومن أمثلته قول الهذلي:

وحـــمَّجَ لِلْجَـــبَـــانِ المَوْ تُ حـــتَّى قَـلْبُـــهُ يَجِبُ[٤]

وتُشَاطِرُ العينَ أعضاءً الجسدِ الأخرى في التعبيرِ عن الغَضَبِ، قالوا: التجميع: التَّغَيُّرُ في الوجهِ في الغَضَبِ وغيرِه[٥].

وفي حديثِ عُمر -قال لرجلٍ «مالي أراك مُحمَّجًا»[٦] وهو فتح العين فزعًا.

١٢- حَمْلَقَ:

الحملاقُ باطنُ الجَفْنِ الأحمرِ، فإن انقلبَ قيل: حَمْلَقَ[٧] وتعني إشارةً حَمْلَقَ»: الفَزَعَ يُصَوِّرُ ذلك قولُ أحدِ الشعراءِ:

---

(١) قد يَنْتُجُ الإحمرارُ في عين واحدة أو في الاثنتين عن الزُّكام أو البُكاء كما في كتاب «العين» لسمير الصليبي (٦٥) ومقصدُنا مَا تَجَوَّزَ ذلك انظر «لغة العيون» (٧٦) حاشية.

(٢) «الصحاح» للجوهريِّ (١/ ٣٠٧).

(٣) «فقه اللغة» للثعالبي (٦٨).

(٤) «الفائق» الزمخشري (١/ ٢٧٧).

(٥) «لسان العرب» (٢/ ٢٤٠).

(٦) النهايةُ في غريب الحديث (١/ ٤٣٦). و«غريبُ الحديث» لابن الجذريِّ (١/ ٢٤٠).

(٧) «خلقُ الإنسان» لِلزَّجَّاجِ (٢٠)، و«فقهُ اللُّغَة» للثَّعالبيِّ (٦٨).

رَأَتْ رجلاً أهْوى إليها فَحَمْلَقَتْ إليه بماقي عَيْنَها المُتَقَلِّب[١]

أي أجابَتْ عينُها عما بها. وتدلُّ -أيضًا- على الشَّراسَة، لما فيها من الحُمْرة الَّتي تقدَحُ شررًا أزْرَق مَثَلُها كَمَثَل الحجارة التي يُستضاءُ بَشَرَرِها بعد قَدْحها.

ومعلومٌ معنى حمرة النَّار ثُمَّ تَحَوُّلها إلى زُرْقَة يعزِّزُ ذلك قولُ الراجز:

واللَّيْثُ إنْ أوعَدَ يَوْمًا حَمْلَقَا بِمُقْلَةٍ تُوحَدُ فَصًّا أزْرَقا[٢]

١٣- خَزَرَ:

الخَزَرُ أن يَنْظُرَ بمؤخَّر عينه[٣] كأنه ينظرُ في أحَد الشِّقين. ومفردةُ (الخَزر) الإشاريةُ تحملُ معنى الغضب. حكم ابن حمدونَ في «تَذْكرته» أنَّ حَسَنَ بنَ النعمان قال: كنتُ بالمدينة فخلا لي الطريقُ نَصْفَ النهار فجعلتُ أتغنَّى في شعر ذي يَزَن وأقولُ:

مَا بَالُ قَوْمِك يا رَبَابُ خُزْرًا كأنَّهُمُ غِضَابُ[٤]

وتَخازَرَ[٥] الرَّجُلُ إذا ضَيَّقَ جفْنَهُ ليُحَدِّ والنَّظَرَ. وهو ليس مرجنًا في العين، بلْ إشارةٌ تَخُطُّها لتحدِّدَ لَفْظَةً في لُغَتها تريدُ قولَها. وأنشدَ أحدُ الشعراء:

إذا تَخازَرْتُ وما بي من خَزَرْ[٦]

ويُفْهَمُ معنى لغة العين عند ما يلقي المرءُ نَظَرَهُ إلى عين الآخَر فَتُنَبِّئُ عما فيها عن طريق إشارتها. جاءني المقامَة البَصْريَّة: «... ولَقِينَا بتَحيَّة الإسلام، ورَدَدْنا عليه

(١) «لسان العرب» (١٠/ ٦٩).
(٢) «المرجَعُ السابقُ» (١٠/ ٦٩).
(٣) «فقه اللُّغَة» للثعالبيِّ (٦٦).
(٤) «سرح العيون» لابن نباتةُ (١٤٩).
(٥) «نجعة الرائد» لليازجي (١/ ٢٨).
(٦) «لسان العرب» (٤/ ٢٣٦).

مُقتضى السَّلام، ثُمَّ أجالَ فينا طَرْفهُ، وقال: يا قومُ مَنْ منكم إلا مَنْ يَلْحَظُني شَزْرًا، ويوسعُني خَزَرًا، وما يُنَبِّئُكم عنِّي أصدقُ مِنِّي..)[1].

تنبيهٌ مهمٌ:

ينبغي أن تُضْبَطَ إشارةُ العين بدقَّة، حتَّى تُفَسَّرَ معانيها أصدقَ تفسيرٍ، وذلك بتحديد حال الناظرِ والمقامِ المُحيطِ به.

قال ابنُ الأعرابيِّ موضِّحًا: «الشيخُ يُخَزِّرُ عينيه ليجْمَعَ الضَّوءَ حتى كأنَّهما خيْطَتَا، والشابُّ إذا خَرَّزَ عينيه؛ فإنه يتداهى»[2].

١٤- خَوَصَ:

خَاوصَ وتَخَاوصَ إذا غَضَّ من بَصَره شيئًا، يكونُ في أنْ يُحَدْقَ النظرَ، كأنَّهُ يقوِّمُ سهمًا، وله وضعٌ آخَرُ، وهو إذا غَمَّضَ بصَرهُ عند النَّظَرِ إلى عين الشَّمس ويصبحُ وضعُ العين عند (الخَوَصِ) ضيِّقًا غائرًا؛ لأنَّ الخَوَصَ في العين «ضيقها وغؤورُها»[3].

تدلُّ الخَوَصَ على معنى غَضِّ البَصَرِ شيئًا عند النَّظَرِ، إما خَجَلاً أو فَزَعًا ويتعامَدُ التعبيرُ بالعين مع الكلام، فتتساوى العينُ مع اللِّسان، يُدَعِّمُ القضيَّةُ قولُ العَرَب: «خَوَّصَ اليومَ بكلامٍ إذا جاء بذكْرٍ منهُ»[4].

١٥- الرَّمْقُ:

الرَّمْق إشارةٌ من إشارات العين تكونُ بواسطة النَّظر إلى الشَّيء بمجامع العين[5]

(١) «مقمات الهمداني» (٦٤).
(٢) «لسان العرب» (٤/ ٢٣٦).
(٣) «أساس البلاغة» للزمخشري (١٧٧).
(٤) «المرجع السابق» (١٧٧).
(٥) «فقه اللغة» (٦٨).

وهي تَحْملُ معنى العداوة. قالوا: «رامقَهُ إذا نَظَرَ إليه شَزْرًا نَظَرَا العَداوة»(١).

وفي تضاعيف العداوة تدلُّ إشارةُ «رَمَقَ» على معنى «النِّفاق» وَرَدَ في الحديث «ما لم تُغْمرُوا الرِّماقَ» أي النفاق، يقال: رامق وماقٌ ومن حديقة العداوة يُجْتنى معنى الحَسد وبخاصَّة أنَّ العينَ أداتُهُ والبابُ إليه. وقد اشتقُّوا من «رَمَقَ» اسمًا للفاعل، قالوا: والرُّمُقُ الحَسَدةُ، وأحدُهم رامَقٌ ورموق(٢).

١٦- رنا:

مَوقعٌ تتَّخذُهُ العَينُ حينُ تتحركُ في مَحْجَرِها، كأنها تَخُطُّ أحْرُفَ لَفْظَة إشاريَّة. ويكونُ بإدامة النَّظر مع سكون طَرْف(٣).

ومتى تُديمُ العينُ نظرها وهي ساكنةٌ فإنها ترنو. وبلفظها تُؤَدِّي معنى المراقبة لاقتناص خَبَر، أو للحصول على مأرب. قال عُمَرُ بنُ أبي ربيعةَ:

وتَرْنُو بعَيْنَيْها إليَّ كَمَا رَنَا ... إلى ظَبْيَةٍ وَسْطَ الخَميلة جُؤْذُرُ(٤)

والتَّرقُّبُ مع سكون تَغْرضُه إشارةُ «رنا» خَشْيَةَ الافتضاح، يساعدُها على التَّعبير عن السِّرِّ ضوابطُ أخرى، كالدموع وغيرها ومن دلالته ما جاء في قول المتنبي:

نَزْنُو إليَّ بعَيْنِ الظَّبي مُجْهِشةٌ ... وتَمْسَحُ الطَّلَّ فوق الوَرْد بالْعَنَمِ(٥)

وأكثرُ ما تكونُ إشارةُ «رنا» في مواطن السِّرِّ؛ لما فيها من إدامة النَّظَر مع سُكون؛ ممَّا يُساعدُ على عدم الإفشاء. قالوا: «فلانٌ رُنُوَّ فُلانَةَ إذا كان يُديمُ النَّظَرَ إليها»(٦).

---

(١) «نجعة الرائد» (١/ ٢٧).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٦٤).

(٣) «لسان العرب» (١٠/ ١٢٦).

(٤) «خلق الإنسان» للزجَّاج (٢٢)، و«نجعةُ الرائد» (١/ ٢٧).

(٥) «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (٦٨)/ بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٦) «ديوان المتنبي» بشرح العكبري (٣٧٤).

وتَشْرقُ الحبيبة النَّظَرَ إلى حبيبها بنقلِ «رنا» فتسْرِقُ بسرٍّ نظرتها سرَّ قلبه، وتدمي فؤاده من غير أن تسيل دمه.

وقد عانى الناسُ من كَلْم «رنا»، على شَاكلته ما أصابَ كُشاجمَ:

رَنَتْ فأصابَتْ سرَّ قَلْبي بلَحْظَةٍ ... لَهَا في الحَشَا لَذْعٌ وليس لهَا جُرْحُ[1]

١٧- لَوْنُ الزُّرْقَةِ:

للَّون الأزرق في المجتمع العربيِّ دلالةٌ خاصَّةٌ، إذ يحملُ معنى العداوة. وهي حقيقةٌ ترتبطُ بالواقع الاجتماعيِّ. كأنهم نظروا إلى أزرق العَينين نظرةَ غريب عن موطنهم، ليس من أبناء بجدتهم؛ لأنَّه اللونُ غيرُ الشائع في البيئة العربية[2] فالعداوةُ فيه عداوةُ غُربة وعدمُ أُنْس؛ نظرًا لعدم استئناسهم برؤيته. جاءَ في المَثَل السائر: «هو أزوقُ العين»[3]، وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ في الاستشهاد على البُغْض، ولونُ الأزرق من صفات الأعداء قال الأصمعيُّ: «هو من صفات الأعداء»[4] والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

---

(١) «ديوان كشاجم» (٥١).

(٢) المعروفُ أن زُرْقَةَ العيون لم تَكُنْ منتشرةً بين العرب؛ كأنها بذلك خَصَّت الأعداءَ.
أما اللونُ المفضَّلُ فهو الأسودُ، يدعِّمُ ما نذكرُهُ المعايِيرُ التي وضعوها للجَمال، وما استلطفوا فيه من أقوال. ونلخِّصُ آراءَهم: هذا هو الحُسْنُ العامُّ وقدخَصُّوا كُلَّ عُضْو بصفَة، فقالوا: الحلاوةُ في العين، والملاحَة في الفم، والجمالُ في الأنف، والظُّرْفُ في اللِّسان. وقالوا: إذا حَسُنَت العينُ فَتَمامُها الدَّمَجُ -سوادُها مع سَعَتها- والفَمُ وتمامُهُ الفَلَجُ يعني في الثَّغْر وطلاوةُ الجبين البَلَجُ... يُنْظَرُ «تزيينُ الأسواق» (٢/ ٣٩٨) ولا أدلَّ على قلّة انتشار العيون الزُّرْقَ في العَرَب من القُدْرَة على إحصاء وعدِّ «الزرق العيون من العرب» قال الجاحظ: «فمن الزُّرق صُحارُ المبديُّ وعبد الرحمن ابنُهُ، وداودُ بن متمم بن نويرةَ، والعباسُ بنُ الوليد، ومروانُ بن محمد، وسعيدُ بن قيس الهمذاني، وزرقاءُ اليمامةَ، وهي عَنْزٌ، من بنات لقمانَ بن عاديًا...» يُنظَرُ «الحيوان» (٥/ ٣٣١).

(٣) «مَجْمَعُ الأمثال» (٢/ ٣٨٥).

(٤) تفسير القرطبيِّ (١١/ ٢٤٤).

قال القرطبي -رحمه الله-: «زُرْقًا» حالٌ من المُجرمين والزَّرَقُ خلافُ الكَحَلِ والعربُ تتشاءَمُ بزَرَق العيون وتذمُّهُ» وعلماءُ النفس يقولون: العيونُ الزرقاءُ من صفاتهنَّ الجُرأةُ، حبُّ الذَّات، الغرضُ، عَمْقَ التفكير، شدةُ الحساسيةِّ، قوةُ التأثير، المزاجُ الفنيُّ، البرودَ!

وقد تهاجى أناسٌ بزُرْقَة العينين التي كانت قرينَةَ للُّؤْمِ على شاكلة ما قاله أمَدُ الشُّعراء:

لَقَدَ زَرِقَتْ عَيْنَاكَ يا ابنَ مكَعْبَر ... كما كُلُّ خَبيٍّ من اللُّؤم أزْرَقُ[1]

ولما خُصَّت الزُّرْقَةُ بالعَجَم على الأرجح -وقد هُجُوا بها- باتتْ معلمًا معروفًا منذ عُصور العَرَب الأوائل يشهدُ له قولُ ذي الرُّمَّة:

زُرقُ العُيُون إذا جاورتُهُمْ سَرقُوا ... ما يَسْرقُ العَبْدُ أونَا باتَهُمْ كَذَبُوا

تلكَ امْرُؤُ القيسِ مُحْمَرٌّ عَنَافقُهَا ... كأنَّ أعْنَاقَهَا فَوْقَ اللِّحى الصَّرَبُ[2]

وقد تتأتَّى رؤيةُ اللون الأزرق في العين من خيالات[3] يَبْعَثُها الناظرَ، نتيجةَ ما يَعْتَمرُ في قلبه من عداوة ومكر...، فيأتي اللونُ خياليًا تعكسُهُ رؤىً في عين الرَّائي. وتَغَيُّرُ لَون العين في مواقفَ نفسيَّة[4] معروفٌ ومتداولٌ في مقامات البُغْض

(١) «الحيوان» (٥/ ٣٣٢).

(٢) «ديوانُ ذي الرُّمَّة (٣٦).

(٣) أدركَ العربُ الخَيالات التي تبعثُها العيونُ، ولم نكنْ لنتخبط فيما نقولُهُ خَبْطَ عشواءَ، يظهرَ ذلك في تنبيههم إلى العيونَ التي تُسْرَجُ باللَّيل، قالوا: «والعيون التي تُسرجُ باللَّيل: عيونُ الأسد والأفاعي والسنانير والنُّمور..» يُنظرُ «الحيوان» (٥/ ٣٢٩).

(٤) من أمثلة ما يَحْصُلُ في ساعَة الغَضَب والتعجُّب رُوي أنَّ المُبَرِّدَ دخل مَحْبِسًا (سجنًا)، فحَصَلَتْ بينَهُ وبين أحَد السُّجناء محاورَةٌ، فأوصَاهُ السجينُ بعَدم دخول السجن، قال: يا أبا العباس، صُنْ نَفْسَكَ عن الدخول إلَى هذه المواضع فليس يتهيَّأُ لكَ فَي كُلِّ وَقت أن تَصادفَ مثلي على مثل هذه الحالة الجميلة. أنتَ المُبَرِّدُ، وجعلَ يُصَغِّقُ وقد انقلبتْ عينُهُ وتغيَّرَتْ خلْقَتُهُ، فبادرتُ مسرعًا =

والحبِّ وغيرهما، وهي «أحوالٌ يتصفُ بها البدنُ كتَغَيُّرِ الألوانِ والعينين»[١] ومن طريفِ ما يُذكَرُ في زُرْقِ العيون.

ما ذكرهُ الإمامُ الشافعيُّ -رحمه الله- قال: خرجتُ إلى اليمن في طَلَبِ كُتُبِ الفراسة، حتى كتبْتُها، وجمعتُها، ثُمَّ لما حان انصرافي مررتُ على رجلٍ في الطريق، وهو محتبٍ بفِناءِ دارِه أزرقَ العينِ ناتىءَ الجبهة[٢] سفاط[٣]، فقلتُ: هل من مَنزِل؟

فقال: نعمْ.

قال الشافعيُّ: وهذا النَّعتُ أخبَثُ ما يكونُ في الفراسة، فأنزلني، فرأيتُهُ أكرمَ ما يكونُ من رَجُل، بَعَثَ إليَّ بعَشاء، وطِيْب، وعَلَفَ لدابَّتي، وفراش، ولحَاف، فجعلتُ أتقلَّبُ اللَّيلَ أجمعُ ما أصنعُ بهذه الكُتُب إذْ رأيتُ النَّعتَ في هذا الرَّجُل، فرأيتُ أكرمَ رَجُل، فقلتُ أرمي بهذه الكتب، فلمَّا أصبحتُ، قلتُ للغُلام: أسْرِجْ، فركبْت، ومررْتُ عليه، وقلتُ له: إذا قَدِمْتَ مكَّةَ، ومررْتَ بذي طَوَىً، فاسْأَلْ عن محمدِ بنِ إدريسِ الشَّافعيِّ، فقال ليَ الرَّجُلُ: أمولىً لأبيكَ أنا؟

قال: قلتُ: لا.

قال: فهلْ كانتْ لك عندي نعمةٌ؟

فقلتُ: لا.

قال: أينَ ما تكَلَّفْتُهُ لك البارحةَ؟

= خوفًا من أن تبدوَ منه بادرةٌ وقبلتُ قولَهُ...» ينظر: «أخبار النَّحويين» للسيرافي (١٠٨).

(١) «تزيينُ الأسواق» لداودَ الأنطاكي (١/ ٣٤).

(٢) ناتىء الجبهة رفيعُها.

(٣) سناط: هو الذي لا شعرَ في وجهه.

قلتُ: ما هو؟

قال: اشتريتُ لك طعامًا بدرْهَمَيْن، وإدامًا بكذا، وعطْرًا بثلاثة دراهمَ، وعَلَفًا لدابَّتِكَ بدرْهَمَيْن، وكِرَاءُ الفراشِ واللِّحاف درهمَان!

قال: قلتُ: يا غلامُ أعْطِه، فهلْ بَقِيَ من شيء؟

قال: كراءُ البَيت فإنِّي قد وسَّعْتُ عليك، وضيَّقْتُ على نفسي.

قال الشافعيُّ -رحمهُ اللهُ-: فَغَبِطْتُ تلك الكتبَ، فقلتُ بعدَ ذلك: هلْ بَقِيَ لك من شيءٍ؟

قال: امضِ أخزاك اللهُ، فما رأيتُ شرًا منْكَ![1].

١٨- شخَصَ:

حينَ يفتَحُ الإنسانُ عينَيْه- وأجْفانَهُ ولا تَطْرَفُ يُقالُ: شَخَصَ[2] قال اللهُ -سبحانَهُ وتعالى-: ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وهو وَضْعٌ لُغَويٌ تحتذي العينُ لتعبِّر عن الفَزَعِ والخَوْف قال الشنقيطي -رحمه الله-: «ومعنى شخوصِ الأبصارِ أنها تبقى منفتحةً لا تغمضُ من الهَوْلِ وشدَّةِ الخَوْف»[3].

وما أشبَهَ نُطْقَ العينِ بنُطقِ اللِّسان! وذلكَ حينَ يتساوى اللسانُ مع العَين.

قالوا: «شَخَصَتْ الكلمةُ في الفَمِ إذا لم يَقْدِرْ على خَفْضِ صوته بها. وشَخَصَتْ الكلمةُ في الفَمِ نحوَ الحَنَكِ الأعلى...»[4].

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ١٤٣).

(٢) «فقه اللغة» للثعالبي (٦٨).

(٣) «أضواء البيان» (١٥/ ٢٠).

(٤) «لسان العرب» (٧/ ٤٦).

١٩- شَزَرَ:

يُشبهُ إلى حدٍّ ما اللَّحْظَ، وهو النظرُ بمؤخَّرة العين[١] ومنها يُعيرُ الناظرُ الآخرين لحْظَ العداوة والكيْد. وأكثرُ ما يكونُ «الشَّزَرُ» في حالَ الغَضَب والنَّظَر إلى الأعداء.

قال الزمخشريُّ: «ونظر إليه شَزْرًا، وهو نظرٌ في إعراضٍ كنَظَر المُبَاغِض»[٢] ومن شواهد الأعشى:

وترى الأعداءَ حَولي شزَّرًا ... خاضعي الأعْنَاقِ أمثالَ الوَدَحْ[٣]

وقال أبو جَنْدَل الهُذَليُّ:

تُحدِّثني عَيْنَاكَ ما القَلْبُ كَاتِمٌ ... ولاجنَّ بالبَغْضَاء والنَّظَر الشَّزْر[٤]

ولا أدلَّ على معنى العداوة من إشارة (شَزَر) من تَضَمُّنها معنى «الطَّعْن».

يقال: طعَنَهُ شَزْرًا إذا طعنَهُ عن يمينه وشماله[٥]

فالطعنةُ والنظرةُ عندها سيَّان.

وتحكي «الشَّزْرُ» معاني الهَجْر في ميدان الحُبِّ، وهي تشابهُ إلى حدٍّ كبير نظرةَ العدوِّ المُباغض؛ لأن وَقْعَ نظرة «الشَّزْر» على الحبيب أشَدُّ من وَقْعِ الحُسام المهنَّد من شواهده قولُ صريع الغواني:

جَعَلْنَا عَلاَمَاتِ المودَّة بَيْنَنَا ... مَصَايدَ لحْظٍ هُنَّ أخْفَى منَ السِّحْرِ

فأعْرِفُ فيهَا الوَصْلَ في لِينِ طَرْفِهَا ... وأعْرِفُ فيهَا الهَجْرَ في النَظَرِ الشَّزْرِ[٦]

---

(١) «فقه اللغة» (٦٨).
(٢) «أساس البلاغة» للزمخشري (٣٢٨).
(٣) «ديوان الأعشى» (٢٩٥) شرح محمد محمد حسين.
(٤) «مجمع الأمثال» (٢/ ٢٥٠).
(٥) «المختار من شعر بشار» (١٠٠).
(٦) «العقد الفريد» (٢/ ٣٦٢).

فقد عرفَ الوَصْلَ والهَجْرَ من إشارة لحْظها، كأنها لسانُ مقال يُنبِّىءُ ويتكلَّمُ ويُخْبرُ. . . ببراعة تفوقُ صوتَ اللسانِ وخَطَّ البنانِ؛ لما فيه من كِتْمانٍ «هُنَّ أخفى من السِّحْرِ».

٢٠- شَفَنَ:

الشَّفَنُ هو النظرُ في اعتراضٍ[١] وإشارتُها تصدُرُ عن المُتَعَجِّبِ منه أو الكارهُ له أو المُبغضُ إياهُ.

قال رؤبةُ يَرُدُّ على الشَّفَونِ اللواتي قتلنَهُ بجفونهنَّ وعيونهنَّ:

يَقْتُلْنَ بالأطْرَافِ والجُفُونِ كُلَّ فتى مُرْتَقِبٍ شَفُونِ[٢]

وتَفَهمُ الزوجةُ كلامَ زوجها من خلالِ إشارةِ العينِ خاصَّةً عند وجودِ الأطفالِ كما قال القطاميُّ:

يُسارِقْنَ الكَلامَ إليَّ كَمَّا حَسَسْنَ حِذارَ مُرتَقِبٍ شَفُونِ[٣]

٢١- صَفَحَ:

الصَّفَحُ النَّظَرُ في كتابٍ أو حسابٍ ليهذِّبَهُ، أو ليستكشفَ صحَّتَهُ وسَقَمَهُ[٤] وقد يتعدَّي النظرُ الكتابَ والحسابَ إلى أمورٍ معنويَّة، منها تَصَفَّحَ الأمرَ وصَفَحَهُ، وصَفَحَ القومَ إذا نظرَ إليهم طالبًا لإنسانٍ، وَصَفَحَ وجوهَهم وتصفَّحها نظرها مُتَعرِّفًا لها. والعينُ تكتبُ لَفْظَةَ «الصفح» عن طريقِ فتحِ الجفونِ وإمعانِ النَّظَرِ في وجهِ الشيءِ وناحيته، للوقوفِ على خفايا الأمورِ؛ لأن كثرةَ حركةِ العينِ تُفْقِدُها التركيزَ.

(١) «خلق الإنسان» (٣٣).

(٢) «ديوان رؤبة» (ص١٧٨).

(٣) «ديوان القطامي» (١٨١).

(٤) «فقه اللغة» (٦٨).

قال ابنُ الأعرابي -موضِّحًا تعبيرَ صفحِ العين، وضوابطَها الأخرى كحركاتِ الحواجب-:

صَفَحْنَا الحُمُولَ للسَّلامِ بنظرةٍ فَلَمْ يكُ إلا وَمْؤُها بالحَواجبِ[١]

ولا أدلَّ على تعبيرِ العينِ بالصفحِ واللسانِ بالقولِ من قولهم: أبدى له صفحتَهُ: كاشفةً[٢] وكذا العينُ تكاشفُ الإنسانَ بإشارتها.

٢٢- ضيقُ العين:

يقابلُ انبساطَ العينِ نتيجةَ رضاها الذي تسطِّرُهُ «امتلاءَ العين»، انحسارٌ ترسمه بشكل ضيق والعين تضيق عندما ما يصيبها الوهن من كَثرة النظر وبذلك تخبرعن حالها بلسان شكلها ووضعها.

استعير ضيق العيون مجازاً ليكون به عن معنى «البخل»، وسرى حتى باتَ حقيقه[٣] من شواهده التي توضع المرادَ قولُ ابنِ النبيه:

يَعيدُ بطَرْفِه التركي عنَّى صَدَقْتُم إن ضيقه العَيْنِ بُخْلُ[٤]

وعلَّةُ استعارة ضيْق العين للبُخْلِ نابعٌ من أصلٍ اجتماعيٍّ. فالعربيُّ مشهورٌ بكرمه وبسَعَة عينيه، إن تَغَزَّلَ ذكرَ العُيونَ النَّجْلَ والحُوْرَ الدُّعْجَ. أما الأعجميُّ وبخاصَّة التركيُّ فموصوفٌ بضيق العينين، فاستعارةُ اللفظ من باب المشابهة بين المقامين. والموازنةُ بين غَزَل الشعراء بالعيون تُلقي الأضواءَ على حقيقة ألغباء ضيق العين، وكيفيَّة استخدامها. لقد أولعَ الشعراءُ المتقدِّمون بذكرِ العيونِ النَجْلِ في

(١) «لسان العرب» (٢/ ٥١٥).
(٢) «أساس البلاغة» (٣٥٦).
(٣) الاسمُ إذا كَثُرَ استعمالُهُ مجازاً يصبحُ حقيقةً عُرْفيَّةً ينظر «الغيثُ المنسجمُ» (٢/ ٢٩).
(٤) ديوان الصبابة (٩٣).

غَزَلِهم، على شاكلة ما جاءَ في قول سيف الدين بن المُنْشدَّ:

إنْ أنْكَرتْ نَجْلُ العيونِ جراحَتي ... فَدليلُ قَتْلي أنَّها نجلاءُ[١]

أما المتأخِّرون فإنَّهم تغزَّلوا بالعيون الضيِّقة، وهي عيونُ الأتراك، يَشْفَعُ ذلك ما نقلَهُ صلاحُ الدين الصَّفَديُّ:

أباديَةَ الأعرابِ عنِّي فإنَّني ... بحاضرةِ الأتراكِ نيطَتْ علائقي

وأهْلَك يا نَجْلا العُيُون فإنني ... فُتِنْتُ بهذا المَنْظَرِ المُتَضايقِ[٢]

وبهذا أصبحت «ضيقُ العين» تؤدي معنى البُخْل[٣]، حملاً على صفة التُّرْك، وسَعَةُ العين تَنَمُّ عن الكَرَم قياساً على صفة العرب يَشْفَعُهُ قولُ ابن حجلةَ:

ضَيِّقُ العَيْنِ وهو من صِفَةِ البُخـ ... ـلِ فإنْ جادَ كانَ ضِدَّ القياسِ[٤]

٢٣- الغَضُّ:

الغَضُّ كَسْرُ البَصَرِ أي خَفْضُهُ وكَفُّهُ» وقد أغْضى عن الشيء وغَضَّ طَرْفَهُ عنه وحَوَّل بصرَهُ وصرَفَهُ وقَصَرَهُ وكفَّهُ وردَّهُ أعرضَ عنه بطرْفه، ومال عنه بنظره[٥] قال الله -سبحانهُ وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] ،نَقَلَ الشَّنقيطيُّ عن الزمخشريِّ قولَهُ: مِنْ للتَّبْعيضِ والمرادُ غَضُّ البَصَرِ عمَّا يَحْرُمُ، والاقتصارُ به على ما يَحِلُّ»[٦].

(١) الغيث المنسجم (٢/ ١٩).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٩).

(٣) وعلماءُ النفس يقولون: العيونُ الضيِّقَةُ يتصفُ صاحبُها بالذَّكاء والحِدَّة، والرقَّة قوَّة الملاحظة وتحكيم العقل!

(٤) «ديوان الصبابة» (٩٣).

(٥) «نجعة الرائد» (١/ ٢٩).

(٦) «أضواء البيان» (٦/ ٢١٠).

والغَضُّ تُسطِّرُهُ إشارةُ العين إما بانْسدال الجُفون[١] عليها، أو بإعْراض الطَّرْف عنهُ.

وكلامُ العين يتطابقُ مع الفَم في مادَّة (غَضَّ) يؤازرُ ذلك قولُهُ -جلَّ وعلا-: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، وفيه ساوى بين الصوت والنظر وكلاهما آلةُ تعبير ووسيلةُ كلام، حينَ أمر بتقصير النظر في الآية الأولى وخَفْض الصوت في الثانية بواسطة الفعل «غضَّ».

وتعودُ أسبابُ غَضِّ الطرف إلى مواقفَ اجتماعية تعبيريَّة، منها الفَرَحُ. وَرَدَ في الحديث: «كان إذا فَرِحَ غضَّ طَرْفهُ»[٢] أي كَسَرَهُ وأَطْرَقَ ولَم يفتحْ عينيه وإنما كان يفعلُ ذلك ليكونَ أبعدَ من الأشرِ والمَرَحِ ومنهُ ما جاء في قصيدة كعب بن زُهَيْر:

وما سَعادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا ... إلاَّ أغَنُّ غَضيضُ الطَّرف مكحولُ[٣]

وغضيضٌ فعيلٌ بمعنى مفعول، أي بمعنى مغضوض، وذلك إنما يكونُ من الحياء والخَفَر. وتَحملُ إشارةُ غَضِّ الطرف معنى المكروه والخَوْف من رفعِ النَّظرَ إلى ما لا يَحلُّ.

وما كان غَضُّ الطَّرْف منَّا سجيَّةً ... ولكنَّنا في مَذْرحجٍ غُرُبانُ[٤]

٢٤- غَمْز(*)

تتكوَّنُ مفردةُ الغَمْز من إشارة العين أو الجَفْن أو الحاجب[٥]، وقد تَحْدُثُ باليَد وهي حَركةٌ تُشْبِهُ النَّخْسَ في الشيء بشيء[٦] ثم استُعيرَتْ إلى العين قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٣٠].

---

(١) قال ابنُ منظور: غَضَّ طرفَهُ إذا داني بين جفونه ونَظَرَ «لسان العرب» (٧/ ١٩٧).

(٢) (غريبٌ) قال الألباني في «الضعيفة» (٦٢٣٣) غريب ولم أقف على إسناده حتَّى الآنَ، وإنما أوردَهُ ابنُ الأثير في مادَّة غَضَضَ.

(٣) «ديوانُ كعب بن زُهَير» (٦٠).

(٤) «لسان العرب» (٧/ ١٩).

(*) علماءُ النفس يُحَذِّرونَ من أصحاب العيون الغمَّازة لأنه يمتلكُهُ الخُبْثُ والأنانيَّةُ والتعالي.

(٥) «القاموس المحيط» (٢/ ١٨٥).

(٦) «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٣١٤).

وتحكي إشارةُ الغَمْزِ النَّقيصةَ والمعايبَ قالوا: غَمَزَ إذا عابَ وذَكَرَ بغَيرِ الجميلِ والمغامزُ المعايبُ[١] ومنه قيلَ ما في فلانٍ غَميزةٌ أي نقيصةٌ يُشار بها إليه[٢] وعليه فإن الناظرَ في الغَمْزِ يطلبُ العيبَ للمنظورِ إليه ويسعى به شرًا. قال الكميتُ:

ومَنْ يُطِعِ النِّسَاءَ يُلاقِ مِنْهَا ... إذَا أَغْمَزْنَ فيه الأَمَوَرِينا[٣]

وفَسَّرَ مقصدَهُ ابنُ مَنْظورٍ بقوله: «الأَمَوَرينا الدواهي، يقول: من يُطِعِ النِّساءَ إذا عِبْنَهُ وزَهِدْنَ فيه يلاقِ الدواهي التي لا طاقَةَ لَهُ بها»[٤].

٢٥- الفُتُورُ:

الفُتُورُ: النظرُ في سكونٍ، يقالُ رجلٌ فاتر الطرف إذا كان ينظرُ في سكونٍ[٥] وحقيقتُهُ انكسارُ الطرف وضعفُ الجفون. وهو عنوان الضَّعْف لا القوَّة على اختلاسِ النظَرِ بحدَّةٍ وشدَّةٍ وإشارتُها تصدُرُ عن العاشقِ الذي يلاحقُ حبيبتَهُ بناظريه، أو مَن يراقبُ هدفًا بعينيه، بُغْيَةَ الوقوف على حقيقته، ونتيجةَ الملاحقة والمراقبة الدائبتين يلحقهُ النَّصَبُ والتعبُ رُوِيَ عن العرب قَولَهُم: «طرفٌ فاترٌ: فيه فتورٌ وسُجُوٌّ ليس بحادِّ النَظرِ، وأَفْتَرَ الرجُلُ فهو مُفْتِرٌ إذا ضَعُفَتْ جفونُهُ فانكسرَ طَرْفُهُ»[٦].

٢٦- اللَّحْظُ:

تبرزُ إشارةُ «اللحْظِ» حين ينظرُ الإنسانُ إلى الآخرِ من جانب الأُذُن[٧] قال ابنُ

(١) «المرجع السابق» (٤/ ٣١٤).
(٢) «مفردات الراغب» (٣٦٥).
(٣) «لغة العيون» (٨٦).
(٤) «لسان العرب» (٥/ ٣٨٩).
(٥) «نجعة الرائد» (١/ ٢٧).
(٦) «لسان العرب» (٥/ ٤٣-٤٤).
(٧) فقه اللغه (٦٨).

الأثير: هو النظرُ بشقِّ العين الذي يلي الصَّدْغَ[١] وتدلُّ «اللحْظُ» على الغَضَب[٢] واللحظُ أشدَّ التفاتًا من الشَّزْر. قال الأزهريُّ: «اللحظُ هو أن ينظرَ الرجلُ بلحاظ عينيه إلى الشيء شَزْرًا، وهو شقُّ العين الذي يلي الصدغَ»[٣] قلت: إذا رأيتَ اللحْظَ من رئيسكَ في العملِ أو والديك أو مُحبِّيك ففتش في سجلِّك وهل هناك ما يؤخَذُ عليك فإن أعياكْ فقد يكونُ بفعلِ واشٍ فلابُدَّ لك من المصارحَة بأدب ولباقة كأن تقول أخَي هل وجَدْتَ عليَّ في نفسكَ؟ قد أكونُ مخطئًا في حقِّكَ! وهَلُمَّ جرًا وكثيرٌ من الناسِ يَرَوْنَ اللحاظَ من أحبابهم صواعقَ حين.

قال ابن المعتزِّ -داعيًا أن تَبرأ عينُه من غضبِه الذي يفضَحُهُ لحظُهُ:

كَذَبْتَ يا من لحَاني في مَحَبَّتِه ... ما صُورَةُ البَدْرِ إلا دون صُورَتِه

يَارَبِّ إنْ لَمْ يكن في وصلِه طَمَعٌ ... ولَمْ يكُنْ فَرجٌ مِنْ طُولِ جَفْوتِه

فاشْفِ السَّقَامَ الذي في لحظِ مُقْلتِه ... واسْتُر ملامةَ خَدَّيْه بلحيتِه[٤]

٢٧- اللَّمْحُ:

اللمحُ النظرُ بعَجَلَة[٥] كأن الناظرَ يفتحُ عينيه إلى الشيءِ، يَخْتَلِسُ النظرَ ثم يُطْبِقُها ويميلُ بوجهِه عنه بسرعةٍ كالبرقِ، حتَّى لا يراه أحَدٌ.

قال الزمخشريُّ: رأيتُهُ لمحةَ البَرْقِ، ولمحتُهُ بَبَصَري: اختلستُ النظرَ إليه، وهو أسرعُ من لَمْحِ البصرِ[٦].

---

(١) «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢٣٧).

(٢) «نجعة الرائد» (١/ ٢٧).

(٣) «لسان العرب» (٧/ ٤٥٨).

(٤) «زيدان ابن المعتز» (١٣٧).

(٥) «فقه اللغة» (٦٨).

(٦) أساس البلاغة، (٥٧٢).

قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، وهي تُؤَدِّي المعنى الممنوعَ؛ لأن الاختلاسَ نوعٌ من السرقة، والسرقةُ من الممنوعات، يبرزُ اللمحُ في النظرِ إلى العورات، أو إلى ما هو عليه من المُحَرَّمات.

٢٨- نَفَضَ:

إذا نظرَ إلى جميعِ ما في المكانِ حتَّى يَعْرِفَهُ[١]، مع شيءٍ من الحَذَرِ والحيطَة.

قال زُهَيرٌ يصفُ بقرةً فقدتْ ولَدَها، فأخذتْ تنظرُهُ محتاطةً خَشْيةَ أن ترى ما تكْرَهُ:

وتَنْفُضُ عَنْهَا عَيْبَ كُلِّ خَمِيلةٍ ... وتَخْشَى رُمَاةَ الغَوْثِ من كُلِّ مَرْصَدِ[٢]

و«نَقَضَ» حركةُ العينِ تؤدي معنى المهابة، وردَ استعمالهم: «فلانٌ يستنفضُ طَرْفُهُ القومَ أي يُرعِدُهم لهيبته»[٣] وإشارة «نَفَضَ» بما تحملُ من معاني الهيبةِ والرعدة تصدُرُ عن الملوك، وذوي النفوذ والشأن.

قال العجير السلولي:

إلى ملكٍ يَسْتَنْفِضُ القَوْمَ طَرْفُهُ ... لَهُ فَوْقَ أعْوَادِ السَّرِيرِ زَئِيرُ[٤]

وهو يُتْبِعُ نظرَهُ بصرخةِ الزَّئيرِ من فوقِ سريرِ العرشِ ليزيدَهم مهابةً، يساعدُ الصوتُ العينَ في كلامِها، وتبليغِ مرامِها.

●●●

(١) «فقه اللغة» (٦٨)، والقاموس المحيط» (٢/ ٣٤٦).
(٢) «ديوان زهير» (شرح تعلب) (٢٢٨).
(٣) «أساس البلاغة» (٦٤٨).
(٤) «لسان العرب» (٧/ ٢٤١).

فراسةُ العيونِ في العلمِ الحديثِ

ما تقدَّمَ من لغة العيون عند العرب مع لمع مُتَمِّم مما توصَّلَ إليه العلمُ وسأذكرُ هنا بعضَ ما ذكرَهُ العلمُ الحديثُ ولا سيَّما علمُ النفسِ.

أشكالُ العيونِ ومدلولاتُها.

١- العيون النَّاعِسَةُ

شكلُها: حينما تأخُذُ العينُ هذا الشكلَ فإنها تبدو وكأنها تريدُ النَّومَ فهي ناعسةٌ والحقيقةُ غيرُ ذلك؛ لأنها حالةٌ من لغة العيون المعبِّرة عن الاستسلامِ والرضوخِ للأمرِ الواقعِ أو الرضى والخجلِ (فهي عين خجلى) لا خُبْثَ فيها ولا دَهاءَ ولا غباءَ كذلك فهي عيونُ الطيبين الذين يفتقدون الكياسةَ.

تدلُّ: على اللامبالاة والسكون السلبيِّ وقبول الأمرِ الواقعِ بلا نقاشٍ أو جدال. وحينما تبدو العينُ ناعسةً فاعلمْ أن صاحبَها يُسْلِمُ لك القيادةَ ويَثِقُ فيك تمامًا ولكن أحذرْ خيانَتَهُ فإنه حليمٌ إذا غَضِبَ آنذاك (تحتَ السَّواهي دواهي) فلا يعني اشعارُك بالاستسلامِ والرضا والثِّقَةِ والقبولِ أن تستغلَّ ذلك في الشرِّ، قد يسمحُ لك ولكنَّه يُنتقمُ ما أُتيحتْ له فرصةُ الانتقامِ.

٢- العُيونُ المخَدَّرَةُ

شكلُها هي عيونٌ تائهةٌ حزينةٌ ترتسمُ عليها علاماتُ الأرقِ والمرضِ يتصنَّعُ صاحبُها الطيبةَ وحبَّ السلامةِ والهدوءِ.

تدلُّ: على أن صاحبَها هزيلٌ يُهزَمُ بلا مقاومة؛ لأنه سلبيٌّ ضعيفُ الإيمان شجاعٌ في اقترافِ المعاصي، لا يُعْتَمَدُ عليه مطلقًا؛ لأنَّه يضرُّ أكثرَ مما ينفَعُ، حتَّى أنه يَضُمُّ

نفسَهُ أنجحُ شيءٍ يقدرُ عليه الإصلاحُ بين الناسِ بكلامٍ يقطُرُ عسلاً، والمسكنَةُ وجَبْرُ الخاطرِ بين المتخاصمين ولكنَّه إذا خاصم فَجَرَ.

٣- العيونُ الثَّعلبيَّةُ

شكلُها: دهادُ ومكرٌ وتربصٌ وانكسارُ الجفنِ الأعلى، وتحديقٌ بالحدقَةِ مركَّزٌ وكأنها عين صَقْرٍ يُوشِكُ أن يَنْقَضَّ على فريستِه، مع مسحَةِ لؤمٍ واضحَةٍ على عمومِ العين.

تدلُّ: على ذكاءٍ ممزوجٍ بدهاءٍ وصاحبُها شعلةُ نشاطٍ ويُرْكَنُ إليه في الأعمالِ الجسيمةِ والخطيرةِ والتي تتطلبُ حُسنَ تصرُّفٍ وتذليلَ عقباتٍ وهذا الصِّنْفُ من الناسِ ويكونُ كالتاجرِ لا يعرفُ المجالاتِ ولا يصاحَبُ ولكنَّهُ يُتْقِنُ عملهُ، وهو شخصٌ جامدٌ غيرُ مَرِحٍ، وكذا النساءُ تكرهُهُ؛ لأنَّهُ ثقيلُ الظلِّ لئيمٌ.

ولذا ينجحُ صاحبُها في الأعمالِ العسكريةِ والأمنيةِ فقط، أما غيرُ ذلك فتارةً وتارةً.

٤- العيونُ الغائرةُ

شكلُها: دفينةٌ أسفلَ الجبهةِ كأنها مختبئةٌ غائرةٌ كأنها جُرْذٌ في جُحرِه يتربَّصُ، تحيطُها هالةٌ قاتمةٌ تنظرُ بترقُّبٍ وحِدَّةٍ غامضةٍ.

تُدلُّ: على حقدٍ دفينٍ وحسدٍ لئيمٍ وإن تظاهرتْ باللُّطفِ والبسمَةِ الصَّفراء؛ فإنها تطفحُ حولَها ظلماتٌ تُقْرِبُ عمَّا في القلبِ من سوادٍ وبُغْضٍ لمن تنظرُ إليه وصاحبُ هذه العيونِ أحَدُ رجلين إما مظلومٌ مغلوبٌ على أمرِه لكنه يتحيَّنُ لحظةَ الانتقامِ.

وأما حقودٌ معقَّدٌ نفسيًا غلبتْ عليه السَّوداءُ وداخلُهُ مثقَلٌ بالهمِّ والغَمِّ. فاحذَرْهُ وحاولْ أن تكسَبَهُ بنُصْرَتِه إن كان مظلومًا وتُطَيِّبَ خاطرَهُ أو تتجنَّبَ معاملتَهُ؛ لأنَهُ يشعرُ بأنه مهضومُ الحقِّ فلابُدَّ من إدراكِ ثأرِه.

٥- العُيونُ النَّمِريَّةُ (الصَّارمةُ)

شكلُها: بيضاويٌّ لامعٌ ثابتٌ في نظرته كالنَّمر المتربِّص لا بَسْمةَ فيها ولا حُزْنَ، بل الصرامةُ الجديةُ والتَّربُّصُ وعدمُ الانكسارِ والثِّقَةُ القويَّةُ بالنفس.

تُدُلُّ: على الثبات على المبدأ والجدية في العمل والطاعة العمياء في تنفيذ الأوامر مع الدقَّة وعدم المجاملة وهذه النظرةُ تدلُّ على الموقف الحازم الذي لا رجعةَ فيه، مع حدوث هذه النَّظرة في قيام مشكلة خاصة لابُدَّ وأن يُعَامَلَ صاحبُها بحَزْم للبتِّ في المشكلة وبلا هوادة؛ لأنَّهُ عنيدٌ ومتكبِّرٌ فلابُدَّ من كَسْر كبريائه بالحُجَّة والبُرهان مع عَدَمِ ظُلْمه، لأنهُ لو ظُلِمَ سيَغْدُرُ فالحَسْمُ بالحُسْنى وإلى الحُسْنى هو علاجُهُ.

٦- العيُونُ الجريئَةُ

شكلُها: متَّسعَةُ الحدقَة ثابتةُ النَّظْرة قويَّةٌ جريئةٌ تُشْعرُكَ من أول وهلة بأن صاحبَها شجاعٌ واثقٌ من نفسه، وقلَّما يَغْمضُ صاحبُها عينيه أو ترتعشان أثناءَ الكلام.

تُدُلُّ: على الانطلاق والتحرُّر والشجاعة مع طيبة القلب وإن كان صاحبُها يُحبُّ المزاحَ، ولكنه سليمُ الطَّوية نقيُّ النيَّة يُخلصُ جدًا لمن يحبُّهُ ويقسو جدًا على من يُعاديه لا يعرفُ الوسطيَّةَ، كلُّ شيءٍ لديه إما أسودٌ أو أبيضٌ رجلٌ (دغري)[1] كما تقولُ العامةُ.

وصاحبةُ العيون الجريئة امرأةٌ لا تُحْتَمَلُ لجُرأتها وعدم حيائها وإخباتها قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٧- العُيونُ الطيبةُ

شكلُها: هي أجملُ وأريحُ العُيون؛ لأنَّ فيها البراءةَ تنطقُ بالحُسْنِ والصَّفاء والنَّقاء والوفاء.

---

(١) دُغري: هو الذي في خلق دَغَرٌ أي تخلفُ من العين للخليل (٢/ ٢٧٧). والعامةُ تستخدمُها بمعنى: الرجل الصريح الذي لا يعرف المداهنة والمراءاة والتردُّد.

تُدُلُّ: على طيبة قلب صاحبها وثقته وحُسن ظنِّه ونَقَاء سَريرته وكرمه المعهود ولكنْ يا للأسف[١] يَتْعَبون في كلِّ أحوالهم وأعمالهم؛ لأنَّهم يَثقون في كلِّ الناس ولا يعرفون كيف يعيشون بين الذِّئاب وهم حكماءُ عُقلاءُ يُحبُّون الهدوءَ وينشدون الكمالَ في كلِّ شيء ويحبُّون السلامَ ويكرهون العُدْوانَ ولكنْ لا يقبلون الاعتداءَ عليهم بل يَقْتَصُّون من المعتدي ولهم نظرةٌ ثاقبةٌ مع أنهم يثقون فيمَنْ لا يستحقُّ، ولهم مشاعرُ دافئةٌ ويَحُسُّون بقلوبهم لكنَّ غَلَبَةَ الطِّيبة تجعلُهم يُسامحون ويُحْسنون الظنَّ يدخلون القلوبَ بلا استئذانٍ ونادرًا ما يَخْرُجون! وهم مع ذلك سعداءُ ولو في أحلَك المحَن!

٨- العيونُ الضاحكةُ

شكلُها: مبتسمةٌ ضحوكةٌ جميلةٌ كأنَّها عيونُ طفلٍ صغيرٍ تَتَّسمُ بالبَريق والبراءَة، والنَّظَرُ إليها وتأمُّلُ لغَتها يُعطي الشعورَ بالراحة والاطمئنان والثِّقة.

تُدُلُّ: على نقاء السَّريرَة والمحبة والقَبول وطيبة القلب، ولكنْ ننصَحُ صاحبَها ألاَّ يضحَك أمامَ النِّساء لأن هذا سيجلب عليه سوءَ الظنِّ ولا ننصحُ -أيضًا- أمامَ اللئام لأن ذلك سببٌ للتجرُّؤ عليه والعيونُ الضاحكةُ صاحبُها قليلُ الهمِّ سعيدُ الحال يتمتَّعُ بصحَّة جيدة وعافية سديدة وصفاء سَريرة، ولكنَّهُ مُرْهَنُ الحسِّ يُؤْثرُ السلامَةَ على التحديات الفارغة مع أنه شجاعٌ جيدًا، ولكنَّهُ حكيمٌ لا يُحبُّ العدوانَ محبوبٌ من الناس.

٩- العيونُ الصَّفراءُ

شكلُها: تُشْعركَ فَوْرَ ما تراها بانْقباض عجيب، وحَذَر من التعامل مع صاحبها مع أنها ضيِّقَةٌ باهتةٌ ممزوجةٌ بصُفْرَة وغشاوَة رماديةٍ مرتجَّة في النظرات محيِّرة غريبة.

---

(١) يا للأسَف خلافًا لما اعتادَ عليه بعضُ الكُتَّاب من كتابتها هكذا (للأسف) إذ لا يجوزُ حذفُ الياء في هذا الموضع وفي التَّنزيل: «يا أسفى على يوسُفَ».

تُدُلُّ: على أن صاحبَها مريضٌ بمرضٍ كبدي أو بالمَرارة أو في العين نفسها، وإلا فصاحبُها بما اكتسبتْ من علامات وملامحَ إنسانٌ حقودٌ حسودٌ لئيم، ولذا يقولُ الناسُ عن الإنسان الذي لا يسامحُ ولا يُفْسحُ طريقًا للتَّفاهُمِ ولديْه خصومَةٌ وغِلٌّ هذا إنسانٌ أصفرُ (صفراوْيٌّ) فالسلامةُ في البعدِ عنهُ.

١٠- العُيونُ الشَّريرةُ

شكلُها: جاحظةٌ غيرُ مستقرَّة، ترمي بشررَ الشَّرِّ تعلوها مسحةُ الكِبْرِ والتعالي ومن الوَهلة الأولى حينما تنظرُ إليها تشعرُ أنَّ صاحبَها مجرمٌ وخائنٌ.

تُدُلُّ: على عُقدة النَّقصِ التي تختلجُ بين أضْلُعه كإنسان مُعَقَّد حقود متكبِّر، وغالبًا ما يكونُ مجرمًا ويحاولُ إخفاءَ إجرامه بالتَّظاهُرِ بأنه متمكِّنٌ وصادقٌ ولكنَّ لغةَ العيون شاهدةٌ لا تعرفُ الكذبَ وليس لها إليه من سبيلٍ فتفضحُهُ عيونُهُ فتظهرُ كَتَكْشيرة الكلب المسعور وهذه النظرةُ إشارةٌ حمراءُ لتحذرَ منْ صاحبها لتعلمَ بأنهُ يكرهُكَ متى فطرَ إليك بهذه اللغة فهو ضعيفُ الإيمانِ مظلمُ القلبِ لا يرحمُ ولا يؤتَمَنُ على شيءٍ.

١١- العُيونُ المنكسرةُ

شكلُها: منكَّسَةٌ مُغْمَضَةٌ غالبًا عليها مسحةُ حزنٍ وندمٍ، صاحبُها مهمومٌ في الغالبِ قلقٌ منكسرُ الخاطرِ.

تُدُلُّ: على مكبوتات النفسِ إما نتاجَ حرمانٍ أو تأنيبِ ضميرٍ ولَوْعَة بالنفس وندامة على فَقْدِ عزيزٍ أو شيءٍ غالٍ وهذه النظرةُ لا تقاومُ ولا ترفعُ جفنًا أو تُثبتُ نظرةً في عينِ من يعرفُ حقيقتَها أو يعرفُها؟ لأن الإحساسَ بالذنبِ يكسرُ العينَ وكذلك لوعةُ الحُزْنِ للحرمانِ.

فَيَجْدُرُ بنا أن نرفقَ بصاحبها ونعاملَهُ بحكمةٍ وعدم إذلالٍ وتعريضه عما حُرِمَ منه بالسَّلوى والمواساة.

١٢- العُيونُ البريئةُ

شكلُها: ثباتُ النظرةِ مع صفاءِ الحَدَقَة وابتسامةِ المنظَرِ مع البراءَةِ المتمثِّلَةِ في الشكلِ العامِّ مع الشعورِ بمحبَّةِ صاحبِها والاطمئنانِ إليه.

تُدُلُ: على طيبة قلبِ صاحبِها ونقاءِ سريرته، ولكنْ تعتريه سذاجَةٌ أحيانًا مما يُسَهِّلُ خداعَهُ.

وهنا تنبيهٌ مهمٌّ وهو أن ناسًا يَتَقَمَّصُون البراءةَ بتقليد أصحاب العيون البريئة لكنْ سَرعانَ ما ينكشفُ البُهْرُجُ ويظهرُ الأصيلُ من المُقَلَّد؛ لأن العيونَ البريئةَ في شكلها الرائعِ الوديعِ الهادىء، وأصحابُ هذه العيون رجالُ حُكماءُ لكنَّهم كما يُقالُ: «يحبون بإخلاص ويكرهون بلا عودة»؛ لأنهم يحبون العدلَ والحَسْمَ والحَزْمَ ويكرهون الظلمَ والحقدَ فهم سعداءُ بأنفسِهم ويَسْعَدُ بهم مَنْ حولَهم!

١٣- العُيون الحنونَةُ

شكلُها: كأنها عيونُ أُمٍّ رءوم حنون على طفلها فيها مسحةُ الشَّفَقَة والرحمة ورقَّة الإحساس، عليها بريقٌ رقيقٌ فيه شفافيَّةٌ ورَونَقٌ جميلٌ تمتزجُ في حناياها رقرقةُ الصِّدق والطيبة والوفاء والمحبَّة.

تُدُلُّ: على الصدق والإخلاص والوفاء والحبِّ الصافي في الله ولله، بل الحرصُ والإيثارُ والتضحيةُ وهذه لغةٌ صامتةٌ عما يتربَّعُ على عرش القلب من محبة وإخلاص، وهذه النظرةُ تنبعثُ من عيون الأُمَّهات والأطفال والأزواج المخلصين أكثرَ من غيرهم، وهي لغةٌ للعيون تُطَمْئِنُ القلبَ وتُفْرِحُ النفسَ وتزرعُ الثقةَ والأمل

الجميلَ، وصاحبُ هذه العيون رجلٌ طيِّبٌ نقيٌّ، صحبتُهُ سلامةٌ والقربُ منه غنيمةٌ لا يعرفُ اللؤمَ والخيانةَ بل لغةُ العيون لديه تكشفُ عمَّا في أعماق قلبه من نُبْلٍ وسلامة نيَّة ونقاء طويَّة وعمومًا هي تدلُّ على شخصيةٍ مثاليةٍ.

١٤- العُيونُ البَلْهَاءُ

شكلُها: فيها جحوظٌ خفيفٌ ترتسمُ فيه علاماتُ الحَيْرَة والبلادَة مع ابتسامة بَلْهاءَ زِدْ على ذلك تَحرُّكَ الجفون بارتعاشة مرتجفة وتَحفُّز. لغير سبب ظاهر.

تُدُلُّ: على (غُلْب) صاحبها وضَعْفه وبَلادته مع مكر بلا بصيرة وتقلُّب وحَيرْة، وينبغي لمن يعاملُهُ أنَ يترفَّقَ به ويُحْسنَ إليه لأن صاحبَ هذه العيونِ كما تقولُ العامةُ (على نيته).

فهو يحبُّ من يحبُّهُ ويكرهُ من يكرهُهُ بلا وسطيَّة ولا نظرٍ في العواقب!

١٥- العُيونُ الجاحظَةُ

شكلُها: حينما تجحَظُ العيونُ فإنها تعبِّرُ عن ثورة أو خوف، أو إعجاب... فهذا الجحوظُ تعبيرٌ عن مشاهدة، أو سماع شيء مثير حزنًا أو فرحًا ولكُلٍّ مسحتُهُ الواضحةُ للمُشاهد والمتأمِّل، والجحوظُ يَتمُّ بتباعُدِ الجَفْنين انفتاحًا لأكبر حيِّزٍ للعين مع بروز شكليٍّ للعين معبِّرًا عما يَجيشُ بالنفس من مشاعرَ وأحاسيسَ.

تُدُلُّ: على أن ذلك الشخصَ الذي تُجَحُظ عيناه مُفْرطُ الحساسيَّة تجاهَ ما يراهُ، ولا يجدُ وسيلةً للتعبير إلا عينيه فهو طيِّبٌ لكنْ يفتقدُ للتحفُّظ وكأنَّهُ في ذلك الموقف يكشفُ كُلَّ ما لديه بلا حَذَر، وهذا يُعتبرُ دليلاً على عدم خبثه ولؤمه، وهذا الجحوظُ يؤكِّدُ لك أنه لا يصلُحُ للمَهامِّ الصعبة ذات الطابَعِ السِّريِّ... ومع ذلك فهو مخلصٌ لك لا يُضْمرُ تجاهَك أي شرٍّ أو حتَّى أيَّ شيءٍ مع أنه متمرِّدٌ، وقد يعاملُك بمعاملتك خيرًا بخير وشرًا بشرٍّ!